14 me Année No. 691

Lundi—30—9—1946

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٦٩١ « القاهرة فى يوم الإثنين ٥ ذو القعدة سنة ١٣٦٥ — ٣٠ سبتمبر سنة ١٩٤٦ » السنة الرابعة عشرة

الآراء الخـــاطفة . . .

للأســـتاذ عباس محمود العقاد

الحركات الخاطفة معروفة فى ميادين الأدب كما عرفت قديماً وحديثاً فى ميادين الحروب

وهى تنجح فى هـذه الميادين كما تنجح فى تلك الميادين ، فليست الأناة لازمة فى كل عمل ، وليس البطء فى التفكير مطلوباً من كل أحد :

وربما فات قوماً جل أمرهم من التأنى وكان الأمر لو عجلوا

كما قيل بحق وصواب

ولكن الحركات الخاطفة قد تنهزم فى ميادين الأدب كما تنهزم فى ميادين القتال ، لأنها لا تصلح لكل موضع ولا تنتصر على جميع الأعداء

وعيبها الأكبر فى الآراء الأدبية أنها سريعة الرواج سريعة الإقناع ، وأنها تجتذب إليها « على وجه السرعة » أولئك الذين ينفرون من التمحيص لأنهم لا يستطيعونه أو لا يجدون له متسعاً من الفراغ ، فيقبلون كل ما قيل ويصدقون فى معظم الأحوال ما هو حقيق بالتكذيب والإعراض

ومن هذه الآراء الخاطفة آراء بعض الناقدين المحدثين فى أدب الصحافة أو فيما يكتبه الأدباء فى الصحف والمجلات . فعند هؤلاء الناقدين المحدثين أن الأديب لا ينبغى أن يكتب للصحف والمجلات ، وأنه لا يكتب فيها شيئاً يستحق أن يعيش إلى غير الأجل الموقوت الذى يقدر لأخبار الصحافة وحوادث اليوم أو الشهر أو العام على أبعد الآجال

وفى هذا الرأى آفة الآراء الخاطفة جمعاء

فهو صحيح وغير صحيح ، أو هو لا يقبل كله ولا يرفض كله ، ولكنه يروج بصوابه وخطئه عند من « يخطفون » الآراء ويقابلون عجلة التفكير بعجلة الإصغاء

فهذا الرأى صحيح إذا كانت كلمة « الكتابة » تشمل التفكير والتجربة والدراسة والمراجعة وتدوين الكلام على الأوراق

فالكاتب الذى يفكر ويجرب ويدرس ويراجع فى الساعة التى يدون فيها كلامه على الورق يخطئ فى حق الأدب وفى حق نفسه ولا يستحق البقاء بعد طى الصحيفة التى يكتب فيها بساعات أو أيام

ولكنه إذا كان يودع الصحيفة ثمرة التفكير الصحيح والتجربة الطويلة والدرس الدقيق والمراجعة المتوالية ، فما هو الفارق بين إيداع هذه الثمرة فى صفحات مجلة أو صفحات كتاب ؟

وما هو وجه الخطأ فى تعويد القارئ الصحفى أن يطالع الموضوعات الدروسة إلى جانب الموضوعات العابرة وأحاديث الفضول والسمر الرخيص ؟

لا فارق فى هذه الحالة بين أدب الكتب وأدب الصحافة ،

ولا خطأ فى اقتران الجد بالهزل ، لأنه خير من استئثار الهزل وحده بعقول القراء « الصحفيين »

ومن الواجب هنا أن نفرق بين تفكير وتفكير ، وبين إسراع وإسراع ، وبين ثمرة وثمرة

فإذا كان الكاتب يفهم فى أسبوع ما ليس يفهمه الكاتب الآخر فى سنة أو بضع سنوات ، فليس هذا البطء بالمزية المحمودة ولا ذلك الإسراع بالذنب المعيب

وليست السلحفاة أفضل من العصفور لأنها سلحفاة ، ولا العصفور أعجز من السلحفاة لأنه عصفور

وإنما المعول على « الثمرة » لا على الزمن الذى تصل فيه هذه الثمرة إلى آكليها . فإذا وصلت إليهم فى القطار السريع فليس حتماً لزاماً عليهم أن يردوها إلى البستان ليحملها إليهم بائع يمشى على قدميه !

كذلك لا يعاب الأديب لأنه يكتب فى الموضوعات الهينة أو موضوعات الصحافة على اختلاف مواعيدها ، فإنما المعول على ما يقول فى موضوعاتها لا على عناوين تلك الموضوعات ، وربما كتب بعضهم فى الحروب العالمية فضاعت فى قراءته اللحظات فضلا عن الساعات ، وكتب بعضهم فى لعب الأطفال فكانت كتابته أحق بالقراءة والحفظ من كتابة ذلك فى حروب الأمم وقيام الدولات أو سقوط الدولات

ولم تر من الأدباء المعاصرين من طرق هذا البحث فأحسن فيه كما أحسن الأستاذ محمد روحى فيصل فى مقاله بمجلة « الفكر » السورية حين قال : « ... أرى مع ذلك أن الصحافى إذا استأنى فى تحقيق كلمته ، وجرى فيما يكتب على مهل وعناية ، وحلل البواعث وتصور النتائج وأحب وكره وخاصم فى المثل الأعلى كان أديباً بأدق ما فى الأدب من الخصائص ، كما أن الأديب إذا أسرع فى تركيز صوره وعرض تصويره صار إلى الصحافة وهو لا يدرى »

وهذا هو الرأى السديد فى موضوع الأدب والصحافة كما تراه ، ولو عاد إلينا الجاحظ والأصفهانى وابن سينا وأدباء العربية الأقدمون أجمعين لرأوه مثلنا بلا خلاف فى الجملة أو التفصيل ، لأننا لا نحسبهم قضوا فى تدوين مصنفاتهم المرسلة وقتاً أطول من الوقت الذى يقضيه الصحفى اليوم فى كتابة مقال ، ولكنهم قضوا الوقت الطويل فى الجمع والتحصيل ، فهان عليهم بعد ذلك أمر التدوين والتسجيل

* * *

وعلى ذكر الكتابة المرسلة نذكر الآراء « الخاطفة » التى تقال هذه الأيام عن السجع والترسل فى بعض الموضوعات

فقد تلقف بعضهم كلام الناقدين فى نقد السجع فحسب أن السجع معيب على كل حال ، وأنه أسلوب قديم لا يطرقه الكتاب المحدثون ولا يوافق كتابة العصر الحديث !

وكنا قد تناولنا كاتباً منهم بالتسخيف والتفنيد فى عبارات مسجوعة ، فظن أنه « أديب حديث » لأنه لا يسجع ، وأننا أناس جامدون لأننا نستخدم السجع فى بعض العبارات !

ونحن نتعمد السجع أحياناً للسخرية أو للتوكيد والتقرير ، ونفهم لما ذا يعيبه الناقدون فنفهم أنه أسلوب يطرق فى هذا العصر كما يطرق فى كل زمان ، لأن السجع لا يعاب لذاته ، ولكنه يعاب لأن المتقيدين به يهملون المعنى فى سبيل القافية أو الفاصلة ، فيعاب عليهم هذا الإهمال ، ولو كان مجرد العناية بالقافية عيباً لعيب الشعر كله فى اللغة العربية على التخصيص ، لأنه يجمع القافية والوزن معاً وينفرد الكلام المنثور بالقوافى دون الأوزان .

أما إذا اتفق السجع والمعنى فلما ذا يعاب ؟ بل لما ذا لا يستحسن ويطلب فى الكلام المنثور ؟ إنه زيادة فيه وليس بنقص ، ومزية فيه وليس بعيب ، ومطلب يراد وليس بمأخذ يجتنب ، ولنا أن نتحدى من ينكره فى بعض عباراتنا أن يمحوه ويرسل الكلام فى موضعه ، فإن لم يكن الترسل فى هذه الحالة هو المخل بالمعنى ، فهو المحق فى نقده ونحن المبطلون !

* * *

ومن هذه الآراء « الخاطفة » نقد الناقدين « الخاطفين » لوصف الناقة أو وصف الصحراء فى عصرنا الحديث

عز عليهم أن يفهموا لما ذا عيب هذا على الشعراء المتقدمين فحسبوا أنه منقود على الإطلاق ، وأن آية التحريم قد نزلت على وصف النوق والصحراوات إلى أبد الآبدين

وليس الأمر كذلك